

جامعة حلب
كلية الهندسة المعمارية
السنة الثانية
تاريخ العمارة ٣

تقديم
محمد عبادي

جامعة
القيروان

عقبة

محاضرة

مقدمة...

جامع عقبة بن نافع هو مسجد بناه عقبة بن نافع في مدينة القيروان التي أسسها بعد فتح تونس على يد جيشه. كان الجامع حين إنشائه على أغلب الظن بسيطاً صغير المساحة تستند أسقفه على الأعمدة مباشرة، دون عقود تصل بين الأعمدة والسقف.

يعد مسجد القيروان الذي بناه عقبة بن نافع عند إنشاء المدينة من أهم معالمها عبر التاريخ. ولقد بدأ المسجد صغير المساحة، بسيط البناء، ولكن لم يمض على بنائه عشرون عاما حتى هدمه حسان بن نعمان الغساني وأقام مكانه مسجداً جديداً أكبر من الأول. وفي عهد الخليفة هشام بن عبد الملك أمر بزيادة مساحته، وأضاف إليه حديقة كبيرة في شماله، وجعل له صهريجا للمياه، وشيد مأذنه.



منظور للجامع من الصحن

ولقد كان للدور السياسي للقيروان دور ديني يوازيه حيث كان الجامع الكبير «جامع عقبة» بمثابة المؤسسة التي توطر الجهود السياسية للدولة نظرا للمكانة العلمية والدينية التي يحظى بها. وللإشارة فان هذا الجامع يعد «تحفة معمارية وآية في الجمال والروعة وظل يحافظ على طابعه المعماري الإسلامي العتيق..» وقد حرص الأمراء والولاة المتعاقبون على حكم افريقية والقيروان على الاعتناء به وصيانته وتفاخروا في توسعته وترميمه واصلاحه وزيادة التجميل فيه. وكان اسبقهم الى ذلك هو الأمير الأغلبى زيادة الله الأول الذي حكم من سنة ٢٢٠هـ حتى سنة ٢٢٦هـ، فهو من وسع الجامع وأعطاه شكله النهائي وان كان قد سبقه الى توسعته والاعتناء به كل الولاة قبله. و قد حرص الذين جددوا بناءه فيما بعد على هيئته العامة، وقبلته ومحرابه، وقد تمت

ومهما .

ويعتبر جامع القيروان من أقدم مساجد المغرب الإسلامي والمصدر الأول الذي اقتبست منه العمارة المغربية والأندلسية عناصرها الزخرفية والمعمارية. كما كان هذا المسجد ميدانا للحلقات الدينية والعلمية واللغوية التي ضمت نخبة من أكبر علماء ذلك العصر.

الشكل الخارجي للجامع يوحي للناظر أنه حصن ضخم إذ أن جدران المسجد سميكة ومرتفعة وشدت بدعامات واضحة. بلغت تكاليف بناء المسجد نحو ٨٦ ألف مثقال ذهب.



صورة علوية للجامع بالقمر الصناعي

فهرس ...

- ١- مقدمة ص ١
- ٢- فهرس ص ٣
- ٣- تاريخ الجامع ص ٤
- ٤- تصميم الجامع ص ٦
- ٥- المئذنة ص ٨
- ٦- القباب ص ١٠
- ٧- زخارف الجامع ص ١٢
- ٨- المراجع ص ١٣

تاريخ الجامع ...



جامع عقبة بن نافع هو مسجد بناه عقبة بن نافع في مدينة القيروان التي أسسها بعد فتح تونس على يد جيشه. كان الجامع حين إنشائه على أغلب الظن بسيطاً صغير المساحة تستند أسقفه على الأعمدة مباشرة، دون عقود تصل بين الأعمدة والسقف.

أول من جدد بناء الجامع بعد عقبة هو حسان بن النعمان الغساني الذي هدمه كله وأبقى المحراب وأعاد بناءه بعد أن وسعه وقوى بنيانه وكان ذلك في عام ٨٠ هـ .

في عام ١٠٥ هـ قام الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بالطلب من واليه على القيروان بشر بن صفران أن يزيد في بناء المسجد ويوسعه، فقام بشر بشراء أرض شمالي

المسجد وضمها إليه، وأضاف لصحن المسجد مكاناً للوضوء وبنى منئذة للمسجد في منتصف جداره الشمالي عند بئر تسمى بئر الجنان. وبعدها بخمسين عاماً (١٥٥ هـ) قام يزيد بن حاتم والي أبي جعفر المنصور على أفريقية بإصلاح وترميم وزخرفة المسجد .



رواق من الجامع

في عام ٢٢١ هـ قام ثاني أمراء الأغلبين زيادة الله بن الأغلب بهدم أجزاء من الجامع لتوسعته كما قام برفع سقفه وبنى قبة مزخرفة بلوحات رخامية على اسطوانة المحراب. أراد زيادة الله أن يهدم المحراب إلا أن فقهاء القيروان عارضوه وقالوا له: «إن من تقدمك توقفوا عن ذلك لما كان واضعه عقبة بن نافع ومن كان معه». قال بعض المعماريين: «أنا أدخله بين حائطين فيبقى دون أن يظهر في الجامع أثر لغيرك»، فأخذ

بهذا الرأي وأمر ببناء محراب جديد بالرخام الأبيض المخرم الذي يطل منه الناظر على محراب عقبة الأساسي.

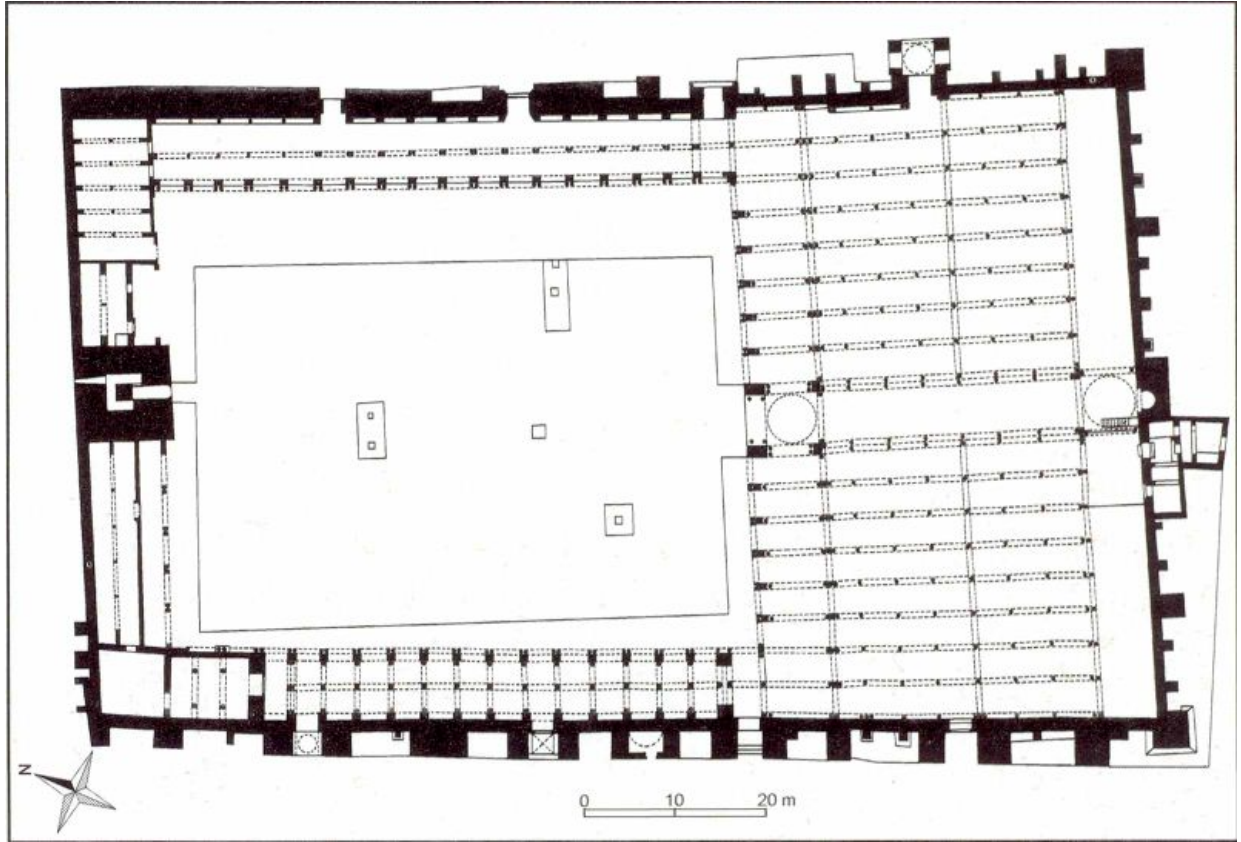
في عام ٢٤٨ هـ قام أحمد بن محمد الأغلبى بتزيين المنبر وجدار المحراب بلوحات رخامية وقرميد خزفي. وفي عام ٢٦١ هـ قام أحمد الأغلبى بتوسعة الجامع وبنى قبة باب البهو وأقام مجنبات تدور حول الصحن. في هذه المرحلة يعتقد أن الجامع قد وصل إلى أقصى درجات جماله.

في عام ٤٤١ هـ قام المعز بن باديس بترميم المسجد وتجديد بنائه وأقام له مقصورة خشبية لا تزال موجودة إلى يومنا هذا بجانب محراب المسجد. قام الحفصيون بتجديد المسجد مرة أخرى بعد الغزوة الهلالية.

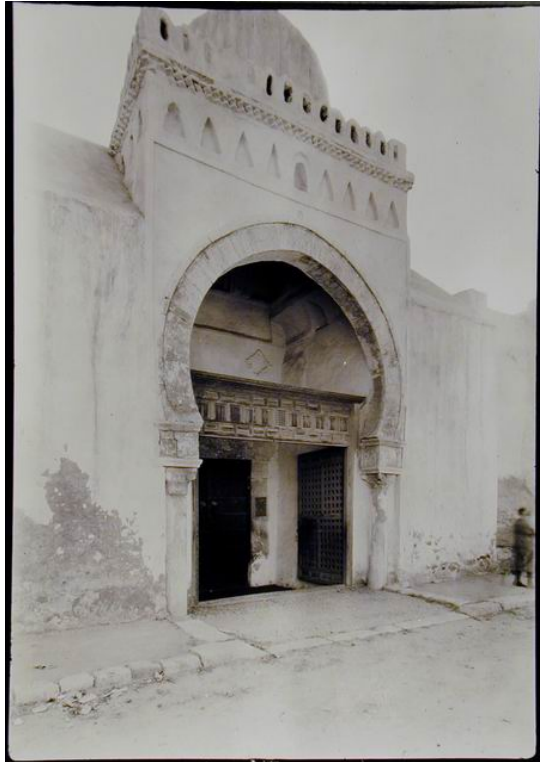


صور للجامع في أوئل القرن العشرين

تصميم الجامع ...



مخطط جامع عقبة



صورة لباب السلطان - الجانب الغربي

المسجد اليوم لا يزال يحتفظ بمقاييسه الأولى التي كان عليها أيام إبراهيم بن أحمد الاغربي، يبلغ طوله ١٢٦ متراً وعرضه ٧٧ متراً. وطول بيت الصلاة فيه ٧٠ متراً وعرضه حوالي ٣٨ متراً وصحنه المكشوف طوله ٦٧ وعرضه ٥٦ متراً. ولهذا الصحن مجنبات عرض كل منها نحو ستة أمتار وربع المتر.

يغطي بيت الصلاة نصف مساحة المسجد تقريباً. كما يوجد فيه ١٧ رواق توازي محوره الأساسي .

وجاء تخطيط المسجد على شكل مستطيل غير متساوي الأضلاع فوق منحدر أتاح لجدرانه الخارجية أن تبدو في تنسيق طبيعي موائم لانحدار الموقع باختلاف مستوياتها، كما

ويصف المؤرخون جامع القيروان بأنه يشتمل على سبع عشرة بلاطة وثمانية اساكيب وقد شكلت الجوامع الأموية في المشرق أمثلة احتذاها بناء الجامع ومخططوه، غير أن المثال الأكثر احتذاء في بناء جامع القيروان كان جامع الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة.

وتتوسط جامع عقبة قبة مربعة القاعدة مقامة من الحجارة المنحوتة، وتحيط الأروقة ذات العقود نصف الدائرية بصحن الجامع .

و قد تغلب المعماري على مشكلة قصر الأعمدة المأخوذ من الأبنية القديمة باستخدام مكعبات حجرية ترتكز عليها الأعمدة . و الأعمدة عناصر راسية حاملة للعقود التي على شكل حدوة فرس ، و قد ساعد استخدام العقود على ارتفاع سقف الجامع ، و الأعمدة المستخدمة ذات تيجان كورنثية .



صورة للرواق في الزاوية الجنوبية الغربية

و تصميم جامع القيروان أصبح نموذجاً للجوامع المشيدة في الأندلس و المغرب و تؤكد الدراسات أن فكرة الأقبية المتقاطعة قد انبثقت من فكرو القباب المستخدمة في جامع القيروان .

المئذنة ...



صورة للمئذنة من الجانب الشمالي

تعتبر مئذنة جامع عقبة من أجمل المآذن التي بناها المسلمون في أفريقيا. وتعد جميع المآذن التي بنيت بعدها في بلاد المغرب العربي على شاكلتها ولا تختلف عنها إلا قليلا، ومن المآذن التي تشبهها مئذنة جامع صفاقس، ومآذن جوامع تلمسان وأغادير والرباط وجامع القرويين، هذا

غير بعض مآذن مساجد الشرق كمئذنة مسجد الجيوشي في مصر.

تتكون المئذنة من ثلاث طبقات كلها مربعة الشكل، والطبقة الثانية أصغر من الأولى، والثالثة أصغر من الثانية، وفوق الطبقات الثلاث قبة مفصصة. يصل ارتفاع المئذنة الكلية إلى ٣١.٥ متراً.

تقع المئذنة في الحائط المواجه لجدار القبلة في أقصى الصحن المكشوف، وضلع طبقته الأولى المربعة من أسفل يزيد على ٥.١٠ متر مع ارتفاع يضاهي ١٩ متراً، وتم بناء الأمتار الثلاثة والنصف الأولى منه بقطع حجرية مصقولة، بينما شيد بقية جسم المئذنة بقطع حجرية مستطيلة الشكل كقوالب الأجر.

الطابق الثاني من المئذنة مزين بطاقتان ثلاث مغلقة ومعقودة في كل وجه من أوجه المنارة، في حين زين كل وجه من أوجه الطابق الثالث بنافاذة حولها طاقتان مغلقتان، ويوجد في أعلى الجدار الأعلى من كل طابق شرفات على هيئة عقود متصلة ومفرغة وسطها.

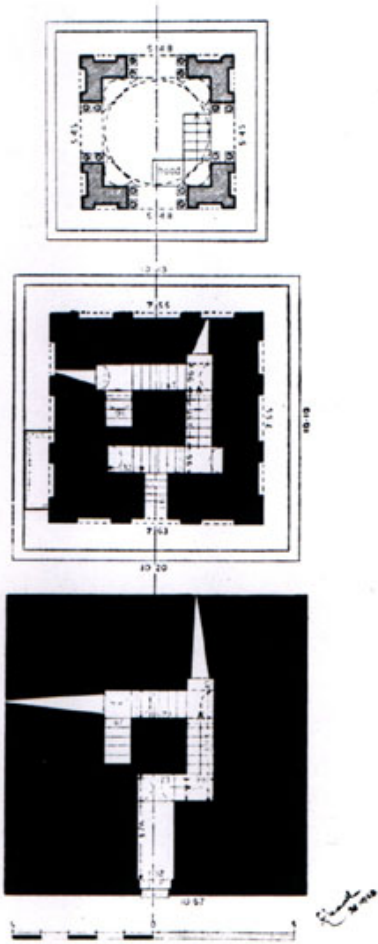
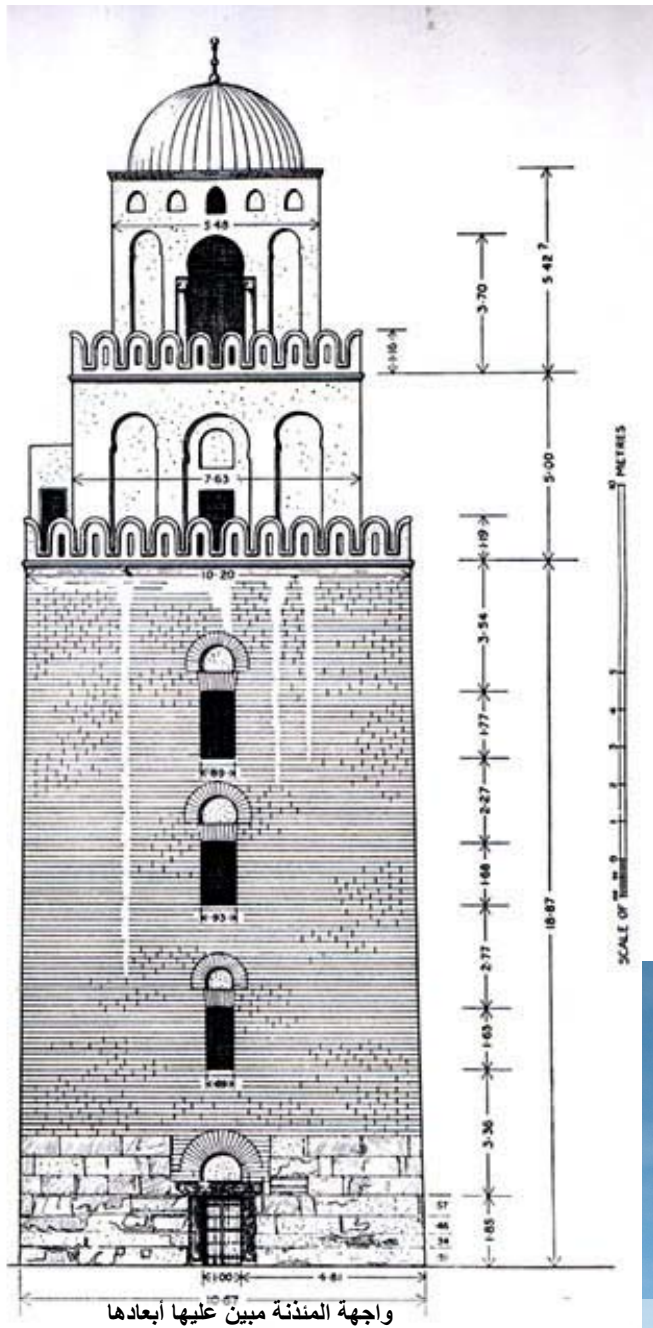


FIG. 398. QAIRAWĀN : Minaret of Great Mosque, plan. Scale 1 : 200

مساقط المئذنة



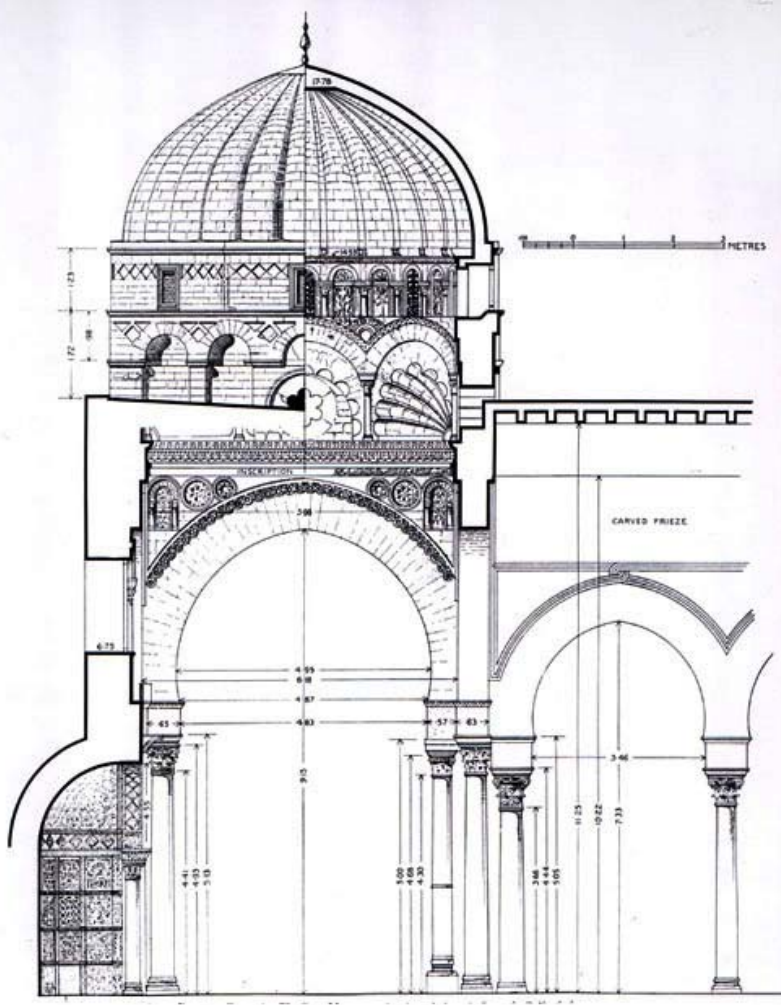
واجهة المنذنة مبين عليها أبعادها

يدور بداخل المنذنة درج ضيق يرتفع كلما ارتفع المبنى متناسبا مع حجمه حيث يضيق كلما ارتفعنا لأعلى. يعتقد أن هذه المنارة لم تبني دفعة واحدة، حتى إن الجزء الأول الأضخم منها بني في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك أيام واليه على القيروان بشر بن صفوان، ثم أكملت عملية البناء بعد مدة طويلة حيث بني الجزءان الثاني والثالث فوق تلك القاعدة الضخ.



صورة حديثة للمنذنة

القباب ...



مقطع في القبة فوق المحراب

أما ما يتعلق بقباب جامع القيروان، فيغطي مدخل الحرم والمحراب قبتان، **القبة الأولى** هي القبة التي أقامها زيادة الله فوق المحراب، وتتكون من قاعدة مربعة تعلوها قبة نصف كروية وتقوم القاعدة على أربعة عقود فوق رواق المحراب، وهذه القبة محرزة بـ ٢٤ حزاً، تقوم على رقبة ذات ثماني فتحات مغطاة بنوافذ مشبكة، وتحت الرقبة مثنى مؤلف من عقود مستديرة مرفوعة على ثمانية أعمدة صغيرة، **والقبة الثانية** تقع في مدخل الحرم، وكانت تتألف من نفس عناصر قبة المحراب، ولقد أدخلت عليها تعديلات لم تغير من شكلها الأصلي، وهي مطابقة للقبة الأولى (قبة المحراب) من ناحية المقاييس والارتفاعات. وتعد أقدم قبة بنيت في المغرب الإسلامي.

ولقد زاد إبراهيم بن أحمد بن الأغلب في دورها اثنتين وثلاثين سارية من بديع الرخام، وفيها نقوش عربية، ولقد أقام إبراهيم قبة مماثلة في مسجد الزيتونة في تونس العاصمة.

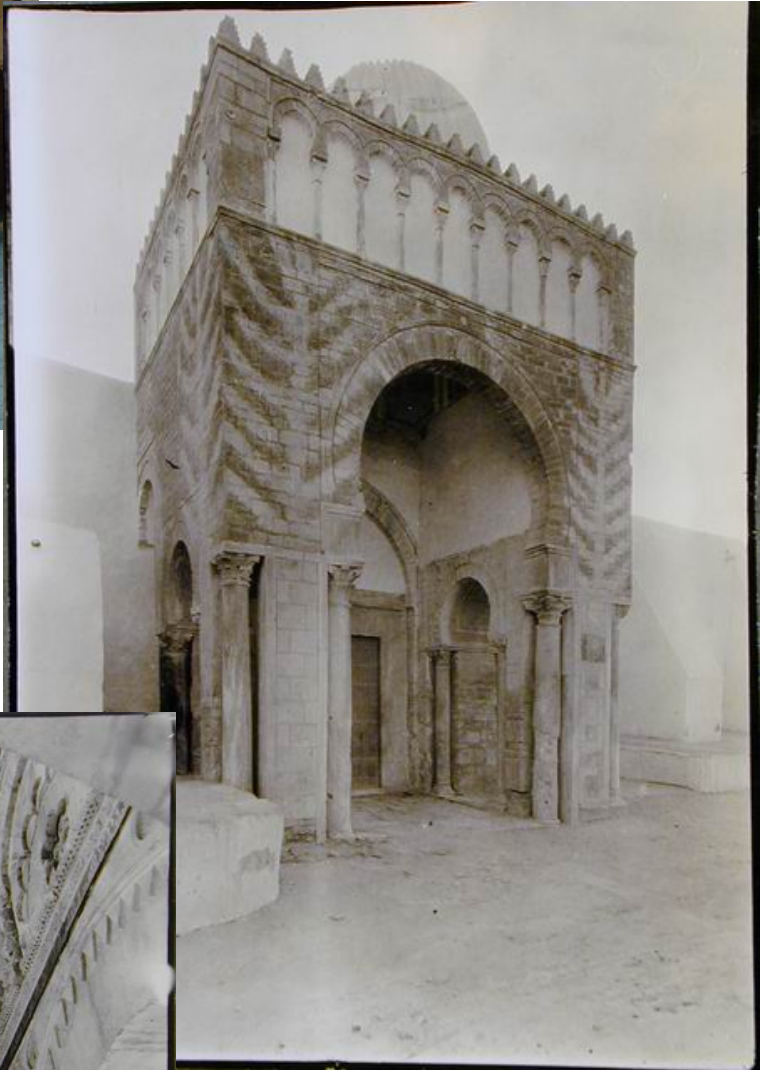


صورة للقبة فوق المحراب



صورة للقبة الثانية في مدخل الحرم

والقبة الثالثة، هي تلك الموجودة فوق مدخل الأريحانا ، وهو المدخل الشرقي في الحرم، ولقد أنشئت في عهد الخليفة أبي حفص عام ١٢٩٣م ، والقبة الرابعة تعلو مدخلاً آخر في الجهة الغربية من الحرم، وتعود إلى عهد الخليفة نفسه . وهناك قبة فوق المئذنة و قبة أخرى فوق باب السلطان .



صورة للقبة فوق المحراب من الداخل



صورة للباب الأريحانا و القبة التي تعلوه

زخارف الجامع ...



ورغم البساطة البعيدة عن الترف، في زخرفة جامع القيروان، إلا أن روعتها وجمالها تنعكس في تداخل هذه الزخرفة مع الصياغة المعمارية، وبالأخص في محراب الجامع، حيث يتكون تجويفه الأعلى من الخشب الأزرق على شكل محارة بتوريقات ذهبية، ماطرة باللون الأحمر ويعود عهده إلى عام ٢٤٨ هـ . ويحيط بالمحراب عمودان لكل منهما تاج، ويلتصق بجوفه المحراب ستار رقيق من الرخام، يخترق الضوء ثقوبه، وكان من الروعة والإتقان أن أصبح مثلاً قلده الفنانون المسيحيون في إسبانيا، وفرنسا خلال العصور الوسطى .

وتم تغطية سطح المحراب وجوانبه بمئة وثلاثين بلاطة مزججة ذات بريق معدني، مربعة الشكل، يبدو أنها قد جيء بها من بغداد لكون طرازها مشابهاً لطراز سامراء .



ويحتوي المسجد على عناصر جميلة ، من بينها مقصورة من الخشب المخروط والمحفور ، ويبدو أنها شيدت للخليفة الفاطمي المعز بن باديس الصنهاجي (١٠٢٣ م) خوفاً من اغتياله أثناء الصلاة ، وهي تقع على يمين المنبر ، والراجح أن تكون زخارف هذه

المقصورة أقدم نموذج معروف لزخارف المشربية في التاريخ الإسلامي.

المراجع ...

- ١- تاريخ العمارة ٣ د. عبد المعطي خضر
- ٢- مقالة بعنوان : جامع القيروان وقيروان الجامع د. عبدالعزيز السنبل
- ٣- القيروان مجد شامخ وإرث عريق موقع : <http://www.islamweb.net>
- ٤- جامع عقبة موقع : <http://www.wikipedia.org>